كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات الأولية / الرابعة

أستاذ المادة: أ.م. د. فؤاد مطلب مخلف

اسم المادة باللغة العربية:الأدب المقارن

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Comparative Literature

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: النهضة العلمية ودورها

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية: Scientific Age

محتوى المحاضرة الخامسة

النهضة العلميّة ودورها في تأسيس الأدب المقارن

بدأت العصور الحديثة في القرن التاسع عشر بإجراء الدّراسات على أساس نظريّ منهجيّ، بعد ظهور الاختراعات الحديثة البخاريّة والكهربائيّة، فضلًا عن البحث في أصول الأشياء، وقد أثّرت هذه النهضة في الأدب والنقد. ثمّ كان التقدّم العلميّ أحدَ أسباب القضاء على الرومانسيّة؛ إذ أخذ الاعتقاد بأنّ

العلم سيحلّ مشاكل الإنسانيّة؛ فلا مجال بعد ذلك للأحلام. فانصرف الأدب إلى واقع الحياة، وماتت الرومانتيكيّة، وقامت على أنقاضها(الواقعيّة) في القصّة والمسرحيّة. ثمّ (البرناسيّة)، وهي تقابل الواقعيّة في النثر.

كان ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ إذ كان العلم سببًا في وجود جمهور جديد للكتّاب، وهو جمهور العمّال، فأخذ الكتّاب يدافعون عن هؤلاء العمال في قصصهم، ومسرحيّاتهم، ويهاجمون البرجوازيّين في كتاباتهم. بعد أن كان الرومانتيكيّون يساعدون في أدبهم(البرجوازيّين) بوجه الأرستقراطيّين. وقد أثّر العلم في الأدب، وموضوعيّة النقاد، واتّجاههم إلى الشرح، والبحث عن أصول الأفكار.

وفي هذا القرن **جاء دارون**(1882م) بنظريّته الشهيرة في التطوّر وطريق الاختيار في الطبيعة، وأثره في تكون الأنواع الحيوانيّة. وعلى الرغم من افتقار بعض النتائج –الّتي ساقها– للقيمة العلميّة؛ إلّا أنّ نظريّته قد راجت رواجًا منقطع النظير، في ظلّ الفلسفة الوضعيّة للعصر. وكثُرت الكتب الّتي تبحث في أصول الأشياء، والنظم الاجتماعيّة والأديان، متّجهة إلى تفسير الأشياء تفسيرًا علميًّا ماديًّا.

ومن أشهر النقّاد الّذين آمنوا بنظريّة **دارون** هذه" **آرنست رينان**"(1823–1892م)؛ إذ إنَّه آمن بالعلم إيمانًا يفوق كلّ حدٍّ، وقد وضع فيه ثقته في مستقبل الإنسانيّة. وبنى كلَّ كتبه على الثقة في العلم، وجبريَّة الظواهر. ومن كتبه "تأريخ أصول المسيحيّة" و" التأريخ العامّ والمنهج المقارن للّغات السامية". ومن أقواله ذات التأثير العميق في نشأة الأدب المقارن، قوله:" يمكن أن يعدّ الوعي الإنسانيّ نتيجة لآلاف أخرى من الوعي تتلاقى كلّها مؤلّفاته في غاية واحدة..."

وظهر صدى هذا الاتّجاه في بحوث الكاتب الإنجليزي **بوسنت**(1881م) في كتابه(الأدب المقارن) الّذي درس فيه ظاهرة الأدب في تأثيرها في جميع الدول بالأسباب الاجتماعيّة. وقد حذا حذو **بوسنت** الكاتب الفرنسي **ليتورنو** في كتابه" تطوّر الأدب في مختلف الأجناس الإنسانيّة" وقد اتّبع فيه **بوسنت** في منهجه ونظراته العامّة.

وقد جدّت ظاهرة أخرى علميّة في القرن التاسع عشر، كان لها تأثير مباشر في الاهتمام بالمقارنات الأدبيَّة. وقد اتّجه علماء ذلك القرن إلى المقارنات لاستنباط الحقائق، والتعمّق في البحث؛ فنشأ عندئذٍ علم" الحياة المقارن" وعلم" التشريع المقارن" وعلم"الميتولوجيا المقارن" وعلم" اللّغة المقارن" فلا

غرابة، أن يحذوَ تأريخ الأدب حذوها في اتّجاهه، نحو" الأدب المقارن". وممّن مثَّل روح العصر في النّقد والصلات بالآداب، هم: **تين وبرونتير، وجاستون بيري.**

1- **هيبوليت تين**(1863م): أثَّر **تين** في عقليّة المفكّرينَ والكتّاب تأثيرًا كبيرًا. وقد بيَّن نظريّاته جميعًا على مبدأينِ:

أ- إنَّ التأثير متبادل بين الأسباب الطبيعيّة، والأسباب النّفسيّة تتضافر على نموّ الجنس البشريّ.

ب- إنّ البحوث العلميّة لا بدّ من أنْ تؤثِّرَ في الأدب والفنّ. و**تين** مدين في ذلك كثيرًا إلى الفلسفة "الوضعيّة" لعصره. ويؤكّد **تين** ضرورةَ دراسة الأسباب النّفسيّة، الطبيعيّة الّتي تُرجِع الخصائص الثقافيّة والاجتماعيّة إلى كلّ أمّة، وقد حصرها في ثلاثة أسبابٍ:

1- **الجنس:** ويقصد به مجموع الاستعدادات الفطريّة، الّتي تميز مجموعة من النّاس انحدروا من أصل واحد. وهذه الاستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضويّ. ويرى أنّ هذا السبب هو أقوى الأسباب في اختلاف الإنتاج الفكريّ. وذلك أنَّ كلَّ جنس من الأجناس البشريّة خضع إلى أسباب واحدة من البيئة الطبيعيّة، ونظام الحكم والعادات والتقاليد. وقدِ امْتدَّ هذا الخضوع إلى الوراء في التأريخ قرونًا سحيقة. وبتأثير هذا الخضوع الطويل اكتسب الجنس صفاتٍ مشتركةً **نزلت** منه الغرائز الفطريّة الّتي لا سبيل إلى محوها.

2- **البيئة:** ويقصَد بها ما يحيط بالجنس من أسبابٍ طبيعيّة، ترجِع إلى حالة الإقليم الّذي يسكنه، ومن أسبابٍ سياسيّة واجتماعيّة تؤثّر في تفكيره. وهذا السبب يؤثّر في الجنس من الخارج؛ على حين ينبعث تأثير سبب الجنس من دواخل ذات الأفراد.

3- الدوافع الموجّهة من تراثه الماضي: وقد حصر **تين** هذا السبب في داخل الأدب الواحد، لكي يكونَ سببًا ثانويًّا في ما يخصّ تأثير الجنس والبيئة. ومثّل لذلك من الأدب العربيّ ببديع الزّمان الهمذانيّ، في مقاماته في يخصّ الحريري في مقاماته. فقد سار الثاني على نهج الأوّل، بدافع الميراث الثقافيّ، والأسس الفنّيّة الّتي وَرِثها عنه. ومثَّل للأدب والفنّ الغربيّين بالأديبينِ الفرنسيينِ؛ كورني وفولتير، والإيطاليين ليونار دي فنتشي ولوجويد.

ويظهر أنَّ **تين** لم يساعد على نهضة الأدب المقارن إلّا في حدود اتّجاهه الوضعيّ؛ من أجل تفسير ظاهرة الفنّ، والأدب، والفكر تفسيرًا علميًّا ينطبق على كلّ الآداب، والإنتاج الفكريّ والفنّيّ. وعلى

هذا يدعو **تين** إلى البحث العلميّ في الآداب المختلفة، والخروج من حدود الأدب القوميّ. وفي كتابه تأريخ الأدب الإنجليزي عقد أنواعًا من المقابلات والمشابهات بينه وبين الأدب الفرنسيّ؛ فكان في تأثيره في الأدب المقارن يقف وسطًا بين التأثير الرومانتيكيّ والتفسير العلميّ المنهجي؛ في سبيل البحث عن أصول الأفكار.

من الاحاديث التي وردت القالي

الحديث الاول: مطلب تفسير الغريب من حديث السحابة:

بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ سَحَابَةٌ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِدَارَتَهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا؟» .

قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِقَامَتِهَا! قَالَ: «وَكَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أَوَمِيضًا أَمْ خَفِيًّا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» .

قَالُوا: بَلْ يَشُقُّ شَقًّا، قَالَ: «فَكَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» . قَالُوا: مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ! فقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «الْحَيَا» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ مِنْكَ أَفْصَحُ، قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» .

قَوَاعِدُهَا - يَعْنِي قَوَاعِدَ السَّحَابِ - وَهِيَ أُصُولُهَا الْمُعْتَرِضَةُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، وَأَمَّا الْبَوَاسِقَ فَفُرُوعُهَا الْمُسْتَطِيلَةُ فِي السَّمَاءِ إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ وَإِلَى الْأُفْقِ الْآخَرِ، وَالْجَوْنُ الْأَسْوَدُ وَقَوْلُهُ: رَحَاهَا فَرَحَاهَا اسْتِدَارَةُ السَّحَابِةِ فِي السَّمَاءِ، وَالْخَفْوُ هُوَ الِاعْتِرَاضِ مِنَ الْبَرْقِةِ فِي نَوَاحِي الغيم، وَالْوَمْيضُ أَنَ يَلْمَعَ قَلِيلًا، ثُمَّ يَسْكُنَ وَلَيْسَ لَهُ اعْتِرَاضٌ، وَأَمَّا الَّذِي يُشَقُّ شَقًّا فَاسْتِطَالَتُهُ فِي الْجَوّ إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَالْحَيَا هُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ .

الحديث الثاني:

عَلَى غريب حديث أحرم ما بين لابتي المدينة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا» ، وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لا يَخْرُجُ مِنْهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلا أَبْدَلَ اللَّهُفِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلا كُنْتُ شَهِيدًا، أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هكذا سَمِعْتُ بلا لَهُ اللابة واللوبة: الحرة، فمن قَالَ لابة، قَالَ فِي جمعها: لاب، ومن قَالَ: لوبة، قَالَ فِي الجمع: لوب، قَالَ سلامة بْن جندل:

حتى تركنا وما تثنى ظعائننا ... يأخذن بين سواد الخط فاللوب

والعضاه: كل شجر لَهُ شوك يعظم، ومن أعرف ذَلِكَ: الطلح والسلم والسيال والعرفط والسمر والشبهان والكنهبل، والواحدة عضة، قَالَ الراعي: